Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الشمولية في البلاغة

وردت مُقطّعةٌ لطيفة لعلي بن محمد بن جعفر (من الكامل):

دِمَنٌ كأنّ رياضها ... يُكسين أعلامَ المطارفْ
وكأنما غدرانُها ... فيها عُشورٌ منْ مصاحِفْ
وكأنما أنوارها ... تهتزُّ في نكباء عاصفْ
طُرَر الوصائف يلتفتـ ... ـنَ بها إلى طُرَر الوصائفْ
وكأن لَمْع بروقها ... في الجوّ أسيافُ المناقِفْ

يورد هذه القطعة عبد القاهر الجرجاني (ـ ٤٧١ هـ أو ٤٧٤ هـ)، مثالاً على «عكس التشبيه»، أو التشبيه المعكوس. ويقول: المقصود البيت الأخير، ولكن البيت إذا قُطع عن القطعة كان كالكعاب تُفرد عن الأتراب، فيظهر فيها ذُلُّ الاغتراب، والجوهرة الثمينة مع أخواتها في العِقْد أبهى في العين، وأملأ بالزَيْن، منها إذا أُفردت عن النظائر، وبدت فذّة للناظر[1].

يكشف هذا التعليق على وجازته، عن أمور متنوعة متآلفة، في فهم الشمولية في البلاغة، وذلك في ترتيب الدرس البلاغي، من حيث: المصطلح، أو التشكيل البلاغي، ومستويات المصطلح في ذاته، بمعنى أن التشبيه ـ على سبيل المثال ـ منه العادي المألوف، وذلك الذي يتمثل في التشبيه التّام، ثم الناقص، ثم البليغ. وهناك حالات شعورية أخرى تستخدم التشبيه، لكنها أقوى من أن يضمها التشبيه البليغ في حمل مضمونها وانفعالاتها. ولهذا أنشأ المتفنون لوناً من التشبيه معكوساً، ومعنى عكسه، أن يكون المشبه به،

---

١ ـ أسرار البلاغة: ص ١٩٠، تحقيق / هـ. ريتر. طبع / استانبول، ١٩٥٤م.